"من آمن بما سمع منّا؟"

قراءة بولسيّة لأشعيا في الرسالة إلى الرومانيّين

الأخت دولّي شعيا ر.ل.م.
أستاذة مادّة الكتاب المقدّس – جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمة

كيف قرأ بولس أشعيا؟ يفترض العديد من علماء العهد الجديد أنّ بولس استخدم العهد القديم ليبرهن فقط عن طروحاته، دون الأخذ بعين الاعتبار الإطار الذي تقع فيه الاستشهادات. هذا يعني أنّ فكرة الاستشهاد بأيّ كتاب من العهد القديم كوحدة أدبيّة أو لاهوتيّة نادرًا ما طُرحت[١]. لكنّ الفحص الدقيق عن الدلائل، يمكنه أن يؤدّي إلى خلاصاتٍ مختلفة ومهمّة.

يبدو أنّ لبولس اهتمامًا خاصًّا بسفر أشعيا؛ ففي الرسائل السبع الأصيلة، يستشهد بولس بأشعيا ٣١ مرّة من أصل ٨٩ استشهادًا من العهد القديم ككلّ. علاوةً على ذلك، في رسالته إلى الرومانيّين، يستشهد بولس بأشعيا على نحوٍ بيِّن ذاكرًا اسمه ٥ مرّات (رو ٩: ٢٧، ٢٩؛ ١٠: ١٦، ٢٠؛ ١٥: ١٢). جديرٌ بالملاحظة أنّه، بينما الـ ٣١ استشهادًا أخذت من سفر أشعيا ككلّ، هناك مجموعة هامّة من الاستشهادات التي أُخذت من بعض الأقسام، أبرزها الفصول ٢٨–٢٩ (٦ استشهادات) والفصول ٤٩– ٥٥ (١٠ استشهادات). يبدو الدليل مثيرًا أكثر إذا أحصينا عدد الاستشهادات غير المباشرة بالإضافة إلى الاستشهادات الجليَّة. من الصعب إحصاء عدد الاستشهادات غير المباشرة بشكلٍ دقيق، لكنَّ القائمة الموجودة في طبعة العهد الجديد الـ ٢٧ لـ Nestle-Aland تصلح لتكونَ مؤشِّرًا تقريبيًّا: من أصل ٥٠ استشهادًا غير مباشر

(١) هناك كتابان يشدّدان على بولس كقارئ لأشعيا:
F. WILK, *Die Bedeutung des Jesajabuches für Paulus* (FRLANT 179; Göttingen 1998); J. R. WAGNER, *Heralds of the Good News.* Isaiah and Paul in Concert in the Letter to the Romans (NovTSup 101; Leiden 2002).

لأشعيا في رسائل بولس السبع الأصيلة، ٢١ تدلّ إلى أش ٤٩–٥٥. يبدو بولس مشدودًا إلى القسم الثاني من سفر أشعيا: كتاب العزاء.

هذه الإحصاءات التقريبيّة توحي بأنّ بولس خصّ نبوءات أشعيا باهتمام فريد، وأنّه وجد في هذا الكتاب النبويّ أقسامًا مفيدة جدًّا لدفاعه عن الإنجيل. أكثر من أيّ كتاب آخر في العهد القديم، يربط أشعيا بين الوعد بإعادة إحياء إسرائيل والرجاء بأنّ الله سوف يُظهر رحمته للأمم ويوطِّد سيادته فوق الأرض كلّها. لذا، يجد بولس في أشعيا، لا سيّما أشعيا الثاني، تصوُّرًا مُسبقًا لرسالته المميّزة بين الأمم[٢]. تشير قراءة بولس لأشعيا، بالدرجة الأولى، إلى تكوين الكنيسة، الشعب الإسكاتولوجيّ، الذي يضمّ الوثنيّ أيضًا. بالفعل، يبدو بولس وكأنّه يجد في أشعيا ليس فقط مسوِّغًا لرسالته إلى الأمم، بل تنبّؤًا مباشرًا لها.

نؤمن بأنّ بولس قرأ وتأمّل مليًّا في سفر أشعيا، على مرّ سنين خدمته الرسوليّة، فبَلْوَرَ قراءةً مُسنِدَة لها تنبع من وحي الله "للسرّ الذي كُشف وقد ظلّ مكتومًا مدى الدُّهور،فأُعلنَ الآن بكتب الأنبياء وفقًا لأمر الله الأزليّ، وبُلِّغَ إلى جميع الأمم الوثنيَّة، لهدايتها إلى طاعة الإيمان" (رو ١٦: ٢٥–٢٦).

لنبرهن ذلك، علينا أن نستطرد قليلاً للبحث عن مفاتيح القراءة البولسيّة لنصوص العهد القديم، مشيرين إلى بعض النقاط المنهجيّة المهمّة.

١– قراءة أدبيّة ولاهوتيّة لاقتباسات العهد القديم في رسائل القدّيس بولس

إذا أردنا أن نفهم ما فعل كتّاب العهد الجديد لاهوتيًّا – لا سيّما في تفسيرهم علاقة الإنجيل بعهد الله مع شعبه إسرائيل– لا يمكننا تجنّب تتبُّع وفهم اعتمادهم على الكتب المقدّسة. هذا هو حال بولس، العبرانيّ ابن العبرانيّين، الذي فاق كلّ معاصريه في غيرته على تقاليد آبائه. سلّم بولس ما قد تسلّم وهو أنّ المسيح مات وقام، "كما جاء

---

(٢) رج:
J. R. WAGNER, "The Heralds of Isaiah and the Mission of Paul", in W. H. BELLINGER – W. R. FARMER (eds.), *Jesus and the Suffering Servant.* Isaiah 53 and Christian Origins (Harrisburg, PA 1998), 193-222.

في الكتب"، κατὰ τὰς γραφάς: (١ كو ١٥: ٣)، وطوّر بإصرار حججه اللاهوتيّة معتمدًا على نبوءات تلك الكتب. تبدأ رسالة القدّيس بولس إلى أهل روما بالتأكيد على أنّ "إنجيل الله" سبق أن وُعدَ به على ألسنة الأنبياء في الكتب المقدّسة (رو ١: ٢)، وفي غضون نقاشه في هذه الرسالة يقتبس من العهد القديم أكثر من ستّين مرّة[٣]. بالرغم من مقاومة بعض علماء العهد الجديد المحيِّرة للاعتراف بالدور الأساسيّ للعهد القديم في لاهوت بولس[٤]، لا بدّ من التأكيد على أنّ بولس كان اللاهوتيّ التأويليّ الذي جسّد عمل الله في الكون بطرقٍ حاسمة من خلال قراءته الكتب المقدّسة[٥].

قد يكون اصطناعيًّا للغاية الافتراض بأنّ الكتب المقدّسة تلعب دورًا مهمًّا في فكر بولس، في تلك الحالات فقط التي يستشهد بها جليًّا بالعهد القديم. لا يمكن أن يرقى الشكّ إلى أنّ الكتب المقدّسة تنظّم بشكلٍ محدّد عالم بولس الرمزيّ بطريقةٍ أكثر إقناعًا. وهذا يعني أنّ علينا، لتفسير رسائله أن تطال الإشارات الكتابيّة الضمنيّة فيها.

قد تكون بعض هذه الاقتباسات تلميحات قد وضعت عمدًا من قِبَل الرسول، وتفترض مسبقًا اعتراف الجماعة المسيحيّة بها لفهم دواعي بولس من استخدامها. وقد يكون بعضها الآخر مندفقًا ببساطة من ذاكرة بولس كما يتذكّرها. إذا أخذنا بعين الاعتبار البُعد الزمنيّ، فمن الصعب التمييز بين الاقتباسات الحرفيّة المتعمَّدة وغير المتعمَّدة في رسائل بولس. في الوقت الحاضر سوف نبحث عن ترسيخ اللغة الكتابيّة في خطاباته ونستكشف وقعها البلاغيّ واللاهوتيّ الذي تُنشئه العلاقة بين النصّ الكتابيّ وإطار رسائل مار بولس.

---

(٣) رج:
D.-A. Koch, *Die Schrift als Zeuge des Evangeliums: Untersuchungen zur Verwendung und zum Verständnis der Schrift bei Paulus* (BHT 69; Tübingen 1986), 88.

(٤) يشرح بعض العلماء اقتباسات بولس على أساس التشابه اليونانيّ–الرومانيّ.

(٥) رج:
R. B. Hays, *Echoes of Scripture in the Letters of Paul* (New Haven 1989), 5-14.

تحديد التلميحات والأصداء لنصّ سابق في نصّ لاحق، يشكّل تحدّيًا كبيرًا، خصوصًا عندما نواجه نصوصًا من العالم القديم. هذا النوع من المهامّ التفسيريّة يدعو إلى الاهتمام الوثيق والتمييز من قِبَل القارئ، أو بتعبيرٍ أدقّ، من قبل الجماعة القارئة، لأنّ خطر الذاتيّة وسوء التفسير كبيرٌ جدًّا.

بناءً على ذلك، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار معنى الاقتباسات الكتابيّة في إطار رسائل القدّيس بولس؛ فإنْ كان تحديد المراجع لا يتنزّه عن الاقتباسات الحرفيّة، ما هي المعايير التي يمكن تطبيقها لتفسير الاقتباسات غير المباشرة من العهد القديم، وخاصّةً من سفر أشعيا في الرسالة إلى الرومانيّين؟

٢- المعايير السبعة لأصداء من أشعيا في الرسالة إلى الرومانيّين

يجب الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذه المعايير ليست بحاسمة، بل يجب أن تُستعمل جنبًا إلى جنب مع بعضها البعض.

١/٢- تيسُّر الاقتباس

هل كان مصدر أشعيا متاحًا لبولس وجماعة روما؟ كان أشعيا، بلا شكّ، معروفًا على نطاقٍ واسع لدى اليهود أيّام بولس الرسول، وبولس يستشهد مرارًا وتكرارًا مستخدمًا صيغًا واضحة مثل: λέγει γὰρ ἡ γραφη: "يقول الكتاب" (رو ١٠: ١١)؛ καθὼς γέγραπται: "كما هو مكتوب" (رو ١٤: ١١)؛ γέγραπται γάρ: "لأنّه مكتوب" (رو ٢: ٢٤؛ ٩: ٣٣؛ ١٠: ١٥؛ ١١: ٢٦؛ ١٥: ٢١)؛ وسلسلة من الصِيَغ التي تذكر أشعيا باسمه: Ησαΐας δὲ κράζει ὑπὲρ τοῦ Ισραήλ: "وأشعيا يصرخ من جهة إسرائيل" (رو ٩: ٢٧)؛ καθὼς προείρηκεν Ησαΐας "كما سبق أشعيا فقال" (رو ٩: ٢٩)؛ Ησαΐας γὰρ λέγει: "لأنّ أشعيا يقول" (رو ١٠: ١٦)؛ Ησαΐας δὲ ἀποταλμᾷ καὶ λέγει: "ثمّ أشعيا يتجاسر ويقول" (رو ١٠: ٢٠)؛ καὶ πάλιν Ησαΐας λέγε: [وأيضًا يقول أشعيا] (رو ١٥: ١٢). استشهد بولس بأشعيا تكرارًا، وربّما كانت نقاشاته مثيرة للجدل لدى العلماء، لكنّه يعطي مصدرًا للقارئ أنّ الاقتباسات هي من سفر أشعيا.

٢/٢- صدى الاقتباس في أُذن السامع

كم هو حجم رجعِ الصدى؟ بمعنىً آخر، كم هو بيِّنٌ وصريح؟ العامل الأساسيّ هو درجة تكرار الكلمات الحرفيّ ونموذج بناء الجُمَل. مثلاً، في رو ٨: ٣٣-٣٤ لا نجد فقط أسلوب الحكم (أش ٥٠: ٨: τίς ὁ κρινόμενός μοι)، رو ٨: ٣٤: τίς ὁ κατακρινῶν) وتبرير الله للمختار (أش ٥٠: ٨: ἐγγίζει ὁ δικαιώσας με، رو ٨: ٣٣: ὁ Θεὸς ὁ δικαιῶν)، بل أيضًا نموذج بناء الأسئلة البلاغيّة القصيرة اللاذعة نفسه في كلّ من النصوص.

يعتمد الصدى أيضًا على التمييز، والبروز أو شيوع النصّ المقتبس من أشعيا. يتأثّر حجم الصوت بالتشديد البلاغيّ على الجملة، موضوع النقاش، في نصّ أشعيا وفي خطاب بولس. لكن هذا أصعب لإيضاحه بإيجاز. وبالاختصار، عندما نتكلّم على حجم صوت الصدى، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ليس فقط درجة توافق الأفعال الدقيقة، إنّما الثقل النسبيّ للاقتباس أيضًا.

٣/٢- تكرار الاقتباس

هل كثيرًا ما يستعمل مار بولس في مواضع أخرى النصّ الكتابيّ نفسه أو يلمح إليه؟ يمكننا أن ندعو هذا التكرار بـ"البرهان المُضاعَف". هذا المعيار هو مهمّ جدًّا، ويلعب دورًا حاسمًا في بحثنا عن أصداء أشعيا في بولس. يميل المفكّرون إلى استخدام النصوص الأكثر أهمّيّة، والتي تُقرأ باستمرار، لكنّ هذا الاستعمال غير كافٍ، لأنّه لا يمكننا الاعتماد فقط على النصوص المعروفة والمتداولة؛ فعبارات الرسالة إلى الرومانيّين تصوّر لنا بولس الذي فكّر مليًّا بنصوص أشعيا واستخدمها بهدف إيصال رسالته بشكلٍ يفهمه مَن وُجِّهَت إليهم الرسالة. النموذج المثال لهذه الظاهرة في رسائل مار بولس، هو استخدام أش ٤٠-٥٥ في الرسالة إلى الرومانيّين[٦].

تُظهر القائمة أدناه المعطيات التي تتعلّق باستشهادات مار بولس المباشرة بأشعيا في الرسالة إلى الرومانيّن. يصبح البرهان أكثر تأثيرًا إذا أضفنا التلميحات في صلب

(٦) رج: R. B. Hays، *Echoes of Scripture*, 30.

موضوعنا: هناك سبعة استشهادات من أش ٤٠–٥٥ في الرسالة إلى الرومانيّين إضافةً إلى التلميحات.

على أيّة حال، مهما استطعنا أن نرتّب الاستشهادات والتلميحات في جدول، لمن الصعب إحصاؤها كلّها، ولكن لا يمكننا أن نتغاضى عن الانطباع بأنّ بولس تأمّل ملّيًا بـ"كتاب العزاء" (أش ٤٠–٥٥).

إستشهادات مباشرة من أشعيا في الرسالة إلى الرومانيّين

أشعيا																
	٦٦															
											٦٥: ٢ (١٠: ٢٠) ٦٥: ١ (١٠: ٢٠)					
	٦٠															
		٥٩: ٧–٩ (٣: ١٥–١٧)									٥٩: ٢٠ (١١: ٢٦)					
											٥٣: ١ (١٠: ١٦)					
		٥٢: ٥ (٢: ٢٤)									٥٢: ٧ (١٠: ١٥)			٥٢: ١٥ (١٥: ١٢)		
	٥٠															
														٤٩: ١٨ (١٤: ١١)		
														٤٥: ٢٣ (١٤: ١١)		
	٤٠										٤٠: ١٣ (١١: ٣٤)					
	٣٠															
								٢٩: ١٦ (٩: ٢٠)			٢٩: ١٠ (١١: ٨)					
								٢٨: ١٦ (٩: ٣٣)								
											٢٧: ٩ (١١: ٢٧)					
	٢٠															
														١١: ١٠ (١٥: ١٢)		
	١٠							١٠: ٢٢ (٩: ٢٧)								
								٨: ١٤ (٩: ٣٣)								
								١: ٩ (٩: ٢٩)								
		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦
الرسالة إلى الرومانيّين																	

٤/٢ – التماسك الموضوعيّ

كيف تتلاءم التلميحات في خطّ النقاش الذي يوسّعه بولس؟ هل يتطابق نصّ أشعيا مع الفكرة التي يحاول بولس أن يبرهنها؟ هل من ترابط منطقيّ بين استعمال بولس والنصّ المصدر؟

عندما نجمع المراجع التي يستشهد فيها بولس، في الرسالة إلى الرومانيّين، بمقاطع من أشعيا (رج القائمة أدناه)، نرى أنّ بولس لا يلمّح إلى أشعيا كيفما اتّفق، بل أنّ أش ٤٠–٥٥ هو أساسًا مكوِّنٌ لفهم بولس لما يفعل الله في العالم من خلال إعلانه الإنجيل: يجلو الله برّه الإسكاتولوجيّ، مُنهيًا سبي شعبه، وجالبًا الأمم ليروا ويفهموا (رو ١٥: ٢١ مستشهدًا بـ أش ٥٢: ١٥). علاوةً على ذلك، كما بيّن رُوس قاغنر: "يجد بولس في أشعيا تصويرًا مُسبقًا أو إعلانًا مُسبقًا عن إعلانه للإنجيل لليهود ولليونانيّين على حدٍّ سواء، في أيّ مكانٍ لم يُعرف المسيح بعد"[٧]. لنعتبر، مثلاً، في رو ١٠: ١٥–١٦، الطريقة التي يستشهد بها بولس بـ أش ٥٢: ٧ و ٥٣: ١ كتصوير مُسبق لنشاطه الإرساليّ: "كيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا؟ كما هو مكتوب: "ما أجمل أقدام المبشّرين بالسلام المبشّرين بالخيرات" (أش ٥٢: ٧)[٨]. لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل، لأنّ أشعيا يقول: "يا ربّ مَن آمن بما سمع منّا؟" (أش ٥٣: ١)[٩].

إستشهادات من أشعيا في الرسالة إلى الرومانيّين	
أش ١: ٩	رو ٩: ٢٩
أش ٦: ٩–١٠	رو ١١: ٨
أش ٨: ١٤	رو ٩: ٣٢–٣٣
أش ١٠: ٢٢–٢٣	رو ٩: ٢٧–٢٨

(7) J. R. WAGNER, *Herlads of the Good News*, 194.

(٨) كما لاحظ قاغنر، حوّل بولس مُرسل أشعيا [المفرد] إلى [جمع] (τῶν εὐαγγελιζομένων)، دون بيّنة في أيّ نصّ يوناني أو عبري لنصّ أشعيا. هذا يدلّ أن بولس فسّر النصّ ليس كريستولوجيًّا إنّما كمرجعٍ للمبشّرين المسيحيّين (صيغة الجمع) بالإنجيل.

(٩) هنا أيضًا نلاحظ أنّ استشهاد بولس الفريد بنصّ من أش ٥٣ تركّز ليس على صورة عبد الله المتألّم، ولكن على نشاط الذين بشّروا به – رسالة تلقّاها السامع بشكٍّ ملحوظ.

أش ١١: ١٠	رو ١٥: ١٢
أش ٢٧: ٩	رو ١١: ٢٧
أش ٢٨: ١٦	رو ٩: ٣٣؛ ١٠: ١١
أش ٢٩: ١٠	رو ١١: ٨
أش ٢٩: ١٦	رو ٩: ٢٠
أش ٤٠: ١٣	رو ١١: ٣٣-٣٤
أش ٤٥: ٢٣	رو ١٤: ١١
أش ٥٢: ٥	رو ٢: ٢٤
أش ٥٢: ٧	رو ١٠: ١٥
أش ٥٢: ١٥	رو ١٥: ٢١
أش ٥٣: ١	رو ١٠: ١٦
أش ٥٩: ٧-٨	رو ٣: ١٥-١٧
أش ٥٩: ٢٠-٢١	رو ١١: ٢٦-٢٧
أش ٦٣: ١	رو ١٠: ١٦
أش ٦٥: ١-٢	رو ١٠: ٢٠-٢١

٥/٢- التاريخ الجدير بالتصديق

هل قصدَ بولس كتابة ما عناه من التلميحات المقترحة؟ وهل فهمها قرّاؤه في القرن الأوّل؟ يتطلّب معيار التاريخ الجدير بالتصديق الدخول في الإطار التاريخيّ لرسائل بولس، كوسائل للاتصال. كان بولس يهوديًّا فرّيسيًّا وعضوًا من الجماعة المسيحيّة الأولى؛ ولذلك كان وريثًا لبعض التقاليد التفسيريّة بين هاتين الجماعتين. في الوقت نفسه، سعى لشرح معنى الكتب المقدّسة للقرّاء الوثنيّين، بالدرجة الأولى، في الحالة الإسكاتولوجيّة الجديدة. في هذا الإطار أيّ نوع من التلميحات والاستشهادات يمكنها أن تكون مفهومة؟ كيف قرأ اليهود المعاصرون لبولس نبوءة أشعيا؟ هل تشابه قراءة بولس قراءاتهم؟ كيف استعملت نبوءات أشعيا في تفاسير الأجيال الأولى للمسيحيّة؟ هل يمكننا أن نجد كتاباتٍ بإزائه؟

ليس من الضروريّ أن يكون هذا المعيار مُقيِّدًا للشرّاح، لأنّ بولس كان، بلا شكّ، مفكّرًا مبتكرًا استطاع أن يَصُوغ التلميحات والاستشهادات بطريقةٍ لم يسبق لها مثيل.

علاوةً على ذلك، العديد من تلميحاته قد حيَّرت قرّاءه الوثنيّين. إذا أمكننا أيجاد مقارنات لاستشهادات بولس في الكتابات المعاصرة له، لاستطعنا تثبيت ما فسّره بولس بشكلٍ أقوى.

يتطلّب منا استعمال هذا المعيار بناءً تاريخيًّا للأفق التفسيريّ وقدرةً على فهم رسائل مار بولس، كما ومعرفة تاريخ الشعوب التي توجّهت إليها هذه الرسائل.

٦/٢- تاريخ التفسير

إذا كان المعيار السابق يعتمد على قراءات للكتاب المقدّس معاصرة لبولس، هذا المعيار يعتمد على تاريخ قراءة رسائل مار بولس. هل هناك قرّاء آخرون، بحسب التقليد، سمعوا الأصداء نفسها التي نعتقد أنّنا نسمعها؟ أو هل لتاريخ التفسير أن ينبّهنا على الأصداء التي قد غفلنا عنها؟

خسر التقليد المسيحيّ، في القرن الأوّل، علاقته الحيويّة بمنشأ التفسير اليهوديّ حيث عاش بولس وتحرّك؛ لذلك، ركّز التقليد المسيحيّ على النصوص التي تساعد على البرهان الكريستولوجيّ لعقائده. هذا ما أدّى إلى الإخفاق في قراءة أش ٥٣ والتغاضي عن اهتمام بولس بتفسير الرسالة إلى الأمم ومصير إسرائيل في ما يتعلّق بالكُتب. هذا المَيل، بدوره، أدّى إلى إغفال المعنى الكنسيّ العمليّ لاستشهاد بولس بأشعيا. لذا لا يخلو تاريخ التفسير من الغموض؛ فالقراءة التقليديّة تحتاج إلى قراءات جديدة مكّملة لاستعادة [الكهف الذي يردّد صدى المعنى] الذي من خلاله يطنّ صوت بولس[١٠].

لا نزال في موقف الاستفادة من دراسة متأنّية لتاريخ دراسة استخدام بولس لأشعيا. إنّ حقيقة التقاليد اللاحقة التي بجّلت أش ٥٣، على الرغم من عدم وجود الاستشهادات الجليّة للنصّ في رسائل بولس، قد تشير إلى أنّ هناك قمعًا يدعى *metalepsis*[١١]

---

(١٠) رج:

J. HOLLANDER, *The Figure of Echo*. A Mode of Allusion in Milton and After (Berkely, CA 1981), 65-66.

(١١) باختصار، *metalepsis* هي أسلوب أدبيّ يخلق انسجامًا بين نصّين بشكل أنّ النصّ "ب" يجب أن يُفهم على نور التفاعل الواسع مع النصّ السابق "أ"، يشمل على مظاهر من "أ" أبعد من التي استُشهد بها. راجع R. B. HAYS، *Echoes of Scripture*، 18-21.

لـ أش ٥٣ في بولس، عمل فعلاً كمَجاز لتسليط الضوء على الموضوع غير المُستشهد به.

الرسالة إلى الرومانيّين مملَّحة باقتباساتٍ عديدة وتلميحات من أش ٤٠–٥٥، بما في ذلك العديد من المقاطع التي يبدو أنّها تردّد صدى "عبد الله المتألّم" في أش ٥٣ (مثلاً: رو ٤: ٢٤–٢٥؛ ١٥:٥–١٩؛ ١٠: ١٦؛ ١٥: ٢١). لماذا لا يوجّه بولس هذه النبوءة علنًا ولا يستخدم صورة "العبد المتألّم" كأساسٍ صريح لتفسيره لإسرائيل أو للكنيسة أو للمسيح؟ يبقى دافع بولس عن هذا التهرّب أو التحفّظ غامضًا بالنسبة إلينا، ولكن يمكن وصفه من خلال نتائج استراتيجيّته البلاغيّة بسهولة. إنّه يلمّح إلى أش ٥٣، ولكنّه لم يذكر هذا النموذج النبويّ الذي من شأنه أن يُدخل إلى أعلى درجة تفسيره للمسيح ولإسرائيل. النتيجة هي مثالٌ بارزٌ لـ *metalepsis*: صمت بولس ينادي القارئ ليُكمل المعنى المجازيّ[١٢]. ربّما هذا ما فعله بالضبط تاريخ التفسير في الكنيسة.

٧/٢– الرضا

هل القراءة المقترحة تلقي الضوء على الخطاب المحيط بها وتعطي معنىً أكبر لنقاش بولس ككلّ؟ هذا المعيار الأخير هو بعيد المنال، ولكنّه مهمّ لمهمّة التفسير النقديّ في الجماعة. يرتبط بمعيار التماسك الموضوعيّ، ولكنّه يختلف عنه على النحو التالي: في حين أنّ معيار التماسك الموضوعيّ يطرح ما إذا كان محتوى نصٍّ واحد يرتبط مادّيًّا بمعنى نقاش بولس في المكان الذي يوجد فيه صدى الاستشهاد، يطرح معيار الرضا، على نطاقٍ أوسع، ما إذا كانت القراءة الناتجة عن نقاش بولس موضَحَة ومعزّزة بالوعي للنصوص المقترحة. يدعو هذا المعيار إلى عملٍ تكامليّ من التمييز حول معنى الرسالة إلى الرومانيّين بكاملها، أو على الأقلّ معنى الإطار القريب ضمن الرسالة، في ضوء الروابط الكتابيّة المقترحة. هذه القراءة المقترحة تفي باختبار الرضا عندما نجد أنفسنا قائلين: أجل، هذا ما يعني بولس هنا في المقطع "أ"؛ وعلاوةً على ذلك، إذا كان هذا صحيحًا، عندها يمكننا أن نبدأ بفهم ما يعنيه في المقطع "ب" ولماذا يستعمل هذه الكلمات في هذا المكان؛ مثلاً، إذا كان أش ٤٠–٥٥ يلعب حقًّا، في الرسالة إلى الرومانيّين، الدور الذي نقترحه هنا، عندها فهمنا لـ رو ١: ١٦–١٧، الفرضيّة الأساسيّة

(١٢) ر ج R. B. Hays, *Echoes of Scripture*, 63.

للرسالة، سيتنوّر بقراءة الطباق مع أش ٥١: ٤–٥:

أنصتوا إليَّ يا شعبي،
ويا أمَّتي أصغي إليَّ:
لأنّ شريعة من عندي تخرج،
وحقّي أثبّته نورًا للشعوب (ἐθνῶν).
قريبٌ برّي (ἡ δικαιοσύνη μου).
قد برز خلاصي (τὸ σωτήριόν)،
وذراعي يقضيان للشعوب
إيّاي ترجو الجزائر (ἔθνη) وتنتظر ذراعي (δύναμις).
أو أيضًا أش ٥٢: ١٠
قد شمَّر (ἀποκαλύψει) الربّ عن ذراع قدسه
أمام عيون كلّ الأمم (ἐθνῶν)،
فترى كلّ أطراف الأرض خلاص (σωτηρίαν)
إلهنا.

هنا للقارئ أن يقرّر ما إذا كانت هذه البشرى السارّة هي الرسالة (εὐαγγέλιον في رو ١: ١٦؛ صدىً لـأش ٥٢: ٧؛ ἀκοή في رو ١٠: ١٦ يقتبس أش ٥٣: ١) التي يعتقد بولس أنّه كُلِّف لإعلانها.

٣– قراءة بولسيّة لقصّة أشعيا: الاستشهادات الجليّة

من المفيد أن تبدأ القراءة البولسيّة الكاملة لأشعيا في الرسالة إلى الرومانيّين ببحث إستقرائيّ عن كلّ المراجع في الرسالة التي يستشهد بها بولس بأشعيا جليًّا. هذه القراءة تطرح الأسئلة عن أهداف بولس من تسليط الضوء على سفر أشعيا، وكيف أنّ هذه الأهداف ترتبط بطرح الرسالة إلى الرومانيّين.

يقرأ بولس أشعيا كراوٍ سلفًا لأحداث موت وقيامة يسوع. يمكن اختصار هذه

الأحداث على الشكل التالي:

١. قسّى إسرائيل قلبه؛ وفصله إثمه عن الله. هذا التعدّي على العهد أدّى إلى التجديف على اسم الله بين الأمم. بالرغم من طول أناة الله وأمانته لعهده، بقي إسرائيل عاصيًا:

أش ٥٢: ٥	رو ٢: ٢٤
أش ٥٩: ٧–٨	رو ٣: ١٥–١٧
أش ٦٥: ٢	رو ١٠: ٢١

٢. بالرغم من ذلك، لم يترك الله إسرائيل. أبقى له بقيّةً باقية أمينة:

أش ١: ٩	رو ٩: ٢٩
أش ١٠: ٢٢	رو ٩: ٢٧

٣. وعد الله بالخلاص الإسكاتولوجيّ الذي سيتمّ في الوقت الحاضر. لكنّه حقّقه بطريقةٍ تدعو إلى الثقة بالمسيح، جاعلاً معظم إسرائيل يعثر. فالذين يؤمنون به لا يخزون:

أش ٨: ١٤	رو ٩: ٣٢–٣٣
أش ٢٨: ١٦	رو ٩: ٣٣؛ ١٠: ١١

٤. هذه هي الرسالة التي على بولس رسول الأمم أن يبشّر بها في الأمم. على نحوٍ معاكس لكلّ التوقّعات، حصل الوثنيّون على البشارة بفرح، فأثمرت الرسالة نحو الأمم:

أش ٥٢: ٧	رو ١٠: ١٥
أش ١١: ١٠	رو ١٥: ١٢
أش ٥٢: ١٥	رو ١٥: ٢١
أش ٦٥: ١	رو ١٠: ٢٠

٥. ولكن ليس الجميع يؤمنون، بأنّ الرسالة هي إهانة لحكمة الإنسان. في الوقت

الحاضر كلّ من عالم إسرائيل والأمم مملوء بالناس الذين يعتبرون أنفسهم حكماء، على الرغم من أنّهم عميان وحمقى. سيجلب الله الحكم عليهم. بطريقةٍ خفيّة، أخذ حكم الله على إسرائيل العاصي شكل إغلاق العينين وتصلّب القلب.

أش ٥٣: ١	رو ١٠: ١٦
أش ٢٩: ١٦؛ ٤٥: ٩	رو ٩: ٢٠
أش ٢٩: ١٠	رو ١١: ٨ (رج أيضًا أش ٩: ١٠-١٠)
أش ٦٥: ٢	رو ١٠: ٢١

٦. ومع ذلك، في نهاية المطاف سوف يخلّص الله إسرائيل، ويغفر خطاياه، ويبسط سيادته على العالم كلّه، بحيث تنحني كلّ ركبة ويسبّح الله كلّ لسان. يشتمل هذا النصر الإلهيّ الإسكاتولوجيّ على تغلّب الله على سلطان الموت.

أش ٢٧: ٩	رو ١١: ٢٧
أش ٢٩: ٢٠	رو ١١: ٢٦
أش ٤٥: ٢٣	رو ١٤: ١١

٧. رحمة الله ساحقة وغير مفهومة.

أش ٤٠: ١٣	رو ١١: ٣

كلّ هذا قد تنبّأ عنه أشعيا. وتجدر الإشارة إلى أنّه، بالاستثناء المحتمل "حجر عثرة" (أش ٨ :١٤ + ٢٨ :١٦/ رو ٩ :٣٢-٣٣)، لم يلجأ بولس إلى التصنيف الكريستولوجيّ في تفسيره لأشعيا. القصّة التي يقرأها في دَرْجِ أشعيا مقيّدة عن كثب بخطّ أشعيا الأصليّ لسبي إسرائيل وعودته، يرافقه تجديد الله الإسكاتولوجيّ الجذريّ الذي يشمل العالم الوثنيّ كلّه.

خاتمة

إنّ الأهداف المحدودة لهذه المحاضرة جعلتنا نقتصر على بعض المعايير المنصوص عليها أعلاه لتحديد التلميحات واستشهادات بولس بأشعيا، لإبداء الملاحظات حول تطبيق هذه المعايير لبعض المقاطع الواضحة، ورسم خطّ القصّة التي تنطوي عليها استشهادات بولس الجليّة من هذا الكتاب النبويّ. لكي نفي البحث حقّه، علينا أن ننقِّب بدقّة خلال الرسالة إلى الرومانيّين لدراسة كلّ الاستشهادات والتلميحات الممكنة وتقييمها الواحد تلو الآخر. لكنّ هذا العمل ضخم جدًّا، أكبر بكثير من حجم هذه المحاضرة. لكنّنا نقدّم مع ذلك، وفي الختام، عددًا من الملاحظات الوجيزة:

١– قرأ بولس في أشعيا قصّة فداء الله للعالم. تأمّل مليًّا بنصّ أش ٤٠–٥٥ ووجد فيه تصويرًا مُسبقًا لرسالته الخاصّة ليُعلن عن البشرى السارّة لجميع الأمم؛

٢– استفاد بولس من استخدامه نصوص أشعيا ليس من الناحية الكريستولوجيّة إنّما من الناحية الإكليزيولوجيّة؛ فالرسالة إلى الرومانيّين ليست بأطروحةٍ عقائديّة كريستولوجيّة، إنّما جوابًا على الأسئلة التي كانت تُطرح في الجماعة الكنسيّة؛

٣– قراءة هذه الاستشهادات ضمن إطار الرسالة إلى الرومانيّين، وكيف تساهم في فهم ما يطرحه بولس من مسائل؛

٤– على قارئ رسائل مار بولس أن يكون [قارئًا ضمنيًّا]، أي أن يكون على اطلاع ليس فقط على الكتاب المقدّس، بل أن يقدّر دقّة استشهادات بولس.

أخيرًا، نحن اليوم في القرن الحادي والعشرين، أيّ نوع من القرّاء يجب أن نكون كي نقرأ رسائل بولس قراءةً صحيحة؟ يؤمن بولس أنّ رفع الحجاب لدى قراءة الكتب يتمّ فقط في الذين يرجعون إلى الربّ من خالص قلوبهم، ومعنى الكتاب يصبح واضحًا فقط عندما يعمل الروح القدس لتجسيد معنى النصّ بشكلٍ ملموس في الجماعات المسيحيّة. إذا كان هذا من الصواب، فنصوص بولس واستشهاداته لن تكشف عن كنوزها للفضوليّين: إنّها سوف تكلّم فقط أولئك الذين التزموا أن يعملوا بنشاط للوصول إلى المصالحة التي تجسّد برّ الله كنورٍ للأمم.

المراجع

HAYS R. B., *Echoes of Scripture in the Letters of Paul* (New Haven 1989), 5-14.

HOLLANDER J., *The Figure of Echo.* A Mode of Allusion in Milton and After (Berkely, CA 1981), 65-66.

KOCH D.-A., *Die Schrift als Zeuge des Evangeliums: Untersuchungen zur Verwendung und zum Verständnis der Schrift bei Paulus* (BHT 69; Tübingen 1986), 88.

WAGNER J. R., "The Heralds of Isaiah and the Mission of Paul", in W. H. BELLINGER – W. R. FARMER (eds.), *Jesus and the Suffering Servant.* Isaiah 53 and Christian Origins (Harrisburg, PA 1998), 193-222.

___, *Heralds of the Good News.* Isaiah and Paul in Concert in the Letter to the Romans (NovTSup 101; Leiden 2002).

WILK F., *Die Bedeutung des Jesajabuches für Paulus* (FRLANT 179; Göttingen 1998).